بريشة ـ الفنانة شريفة فتحي صورتها.. بريشتها..!

شريفة فتحي

«ضالة في عرض الطريق..
لا ماوى لها ولا صديق!»

تباركت يا رب

تبـاركـت يـا رب مـن خـالـق ... صنعت فأبدعت أبهى الصور
ألا كيف أحييت هذا التراب ... وأنبت فيه ظليل الشجر
ونسقت يا رب حسن الزهور ... وأخرجت منها الجنى والثمر
وأنطقت باللحن تلك الطيور ... تغرد شادية في السحر
وسويت يا أحكم الحاكمين ... من الطين والماء هذا البشر
وعلمته من لدنك البيان ... وأودعت عينيه نور البصر
وكم ذا تغير من حالة ... وكم من قضاء وكم من قدر
فطوراً شتاء وطوراً ربيع ... وحيناً رياح وحيناً مطر
أضأت له الأرض يا ذا الجلال ... فشمس نهاراً وليلاً قمر
تعاليت يا باعث النار نوراً ... ويا من يفجر قلب الحجر
ويا من إذا أمره قال كن ... يكون لقدرته ما أمر

شريفة فتحي

قام الشاعر الكبير عزيز أباظة بتقديم ديوان «لهب وأمواج» للشاعرة شريفة فتحي بقوله:

أول ما يطالعك في هذا الديوان الممتع «لهب وأمواج»:

إن صاحبته قد حلّته برسوم من ريشتها المبدعة، فإذا أنت أمام فنين جميلين قد تآلفا أو قل تحالفا، فلا تدري إلا باصطناع جهد غير يسير.. أيهما الصوت، وأيهما الصدى، وأيهما الأصل، وأيهما الظل؟!.. وإنك لتنظر إلى رسومها.. فتلمح فيها شفافية الشعر وخفقانه، وتقرأ شعرها فيخيل إليك أنك ترى الأحاسيس المشعشعة فيه، وقد تجسدت في لوحات مرسومة.

وشريفة فتحي في غلائلها الناعمة.. هي التي دفعتها بلمساتها الحانية المدللة، إلى مزاولة ألوان متعددة من الفن.. في وقت معاً، فهي تصور.. وهي تكتب القصة القصيرة، وهي تؤلف الأوبريت، وهي تنظم الزجل والأغنية والموال، وهي ترسل الشعر، ثم هي فيما روي ـ تعالج التلحين الموسيقي الخفيف. وإنني أقول لك أيها القارىء، إن أنوثة شاعرتنا النابهة قد تفاعلت مع موهبتها فخلقت طابعها، ووضعت لها أسلوبها التعبيري، ومسارع أيضاً.. فقائل لك: إن عمق إحساس شاعرتنا بالحياة والجمال قد أضفى على شعرها في مجموعه قيماً إنسانية، وواءم بين وجدانها وخلجات نفسها من جهة، وبين تعابيرها الحية من جهة أخرى، تلك التعابير التي اتّسمت بمطابقتها لسنن الحياة كما تحسها المرأة في لغة عذبة، لا تكلف فيها ولا قلق كأنما هي نفثات روح أو نبضات قلب.

ولا ريب أن الأنوثة بجوهرها وسرها مجتمعة إلى الموهبة والاستعداد والدرس، قد أسهمت في خلق شاعرات عشن في عصور مختلفة، ولا ريب أيضاً أنها ارتفعت ببعضهن على الزمن.. إلى مقاومة فارعة، ولكنها لم تبلغ بهن حتى اليوم إلى مشارف العبقرية التي تفرضهن على الزمن، مؤثرات أو خالدات عليه، وهذه الأنوثة قد طبعت بطابعها الفريد.. شاعرات معاصرات

غير قليلات في شرقنا العربي، ولعل «شريفة فتحي» من أصفاهن طبعاً، وأعلاهن كعباً، وسترى في شعرها.. كيف تتقاطر الأنوثة في فن الشاعرة كله.

أنشودة أم:

نم يا حبيبي في رضا وأمان ... سهرت عليك عناية الرحمن
طيف النهار مضى ونامت شمسه ... والليل أقبل ناعس الأجفان
تبني البلابل للصغار مهودها ... بالقش بين سواعد الأغصان
وجعلت مهدك في حنايا أضلعي ... وفرشته بمحبتي وحناني

وإنك لواجد أيضاً هذا الطابع نفسه مذوباً في فلسفة رقيقة في قصيدة «حبي» وفي قصيدة «بلا خطيئة»:

إن كنت أستر بالحياء مفاتني ... وأصون حرمتها عن النظرات
أوَكيف أكشف عن أدق مشاعري ... وأبيح ما في الصدر من خلجات
للحب عندي والحبيب قداسة ... ومكانة من أرفع الدرجات
فنذرت أشواقي لمن أحببته ... هي ..... وهمس صلاتي
أولى بقلبي أن أراه محطماً ... من أن أراه عاري القسمات

على أن هذا الطابع الأنثوي قمين بأن يكشف لنا عن خصيصة أخرى من خصائص هذا الشعر، تلك هي ما امتاز به من أناقة.. ورقة وانسياب - لا سيما إذا اتصل الموضوع بلون من ألوان الجمال الذي أخذ سبيله، مذللة عبر العصور إلى قلوب النساء، كالحديث عن الزهور والطيور، فقصيدة - رباعيات الزهور من أروع شعر الديوان - وهي وحدها تكفي لتجعل من شريفة فتحي - شاعرة تخطر في حلبة واحدة مع النابهين من الشعراء، الذين أضفى الله عليهم نعمة الطبع الأصيل، والذوق الجميل، إلى جانب قدر ذي خطر من الجزالة والرقة.

ولونٌ آخر من أدب الشاعرة، إنه ذلك اللون الذي يتراكب فيه الاضطراب.. وتشيع فيه الحيرة، وتتراقص بين مبانيه ومعانيه عرائس الضعف الأنثوي.

في قصيدتها «إنسان» بها إشراقات كريمة من الإيمان بخالق الوجود وخالق الإنسان.

لست الملاك الرجيم وإنما.. بعض على أرضي وبعض في السما

ويل لنور في السماء إذا ارتمى.. أرضاً وطوبى للتراب إذا سما..»

* * *

وللشاعرة شريفة فتحي ديوان:

«في محراب الجمال.. صوفيات» قام بتقديمه فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري يقول فيه:

لقد رأينا أن ينشر في الناس ديوان للسيدة المفضالة «شريفة فتحي» حرم السيد الأستاذ الدكتور كمال الدين سامح، وسليلة العالم النفساني المستشار محمد فتحي، الذي جمع الله له بين شرفين شرف القضاء مستشاراً بالقضاء العالي، وشرف التعليم أستاذاً لعلم النفس الجنائي بكلية الحقوق في جامعة القاهرة.

ولقد كان الرجل ثالث ثلاثة من هواة الموسيقى العربية، الذين قاموا بإنشاء معهد لها منذ أكثر من نصف قرن، حتى لقد ترك منصبه في القضاء لكي يتفرغ لأجمل فنين بين معارف البشر، فن الموسيقى وفن علم النفس.

في هذا الجو نشأت الشاعرة شريفة فتحي، وارثة عن أبيها ما كان يغمر نفسه من معان رقيقة جميلة دائمة التجوال في حنايا الصدور وطوايا النفوس، حتى تتهيأ لها السبل لتستعلن ألحاناً رائعة في مجال الموسيقى، وكلمات قادرة على التعبير في رحاب علم النفس..

ولست بمستطيع وأنا أقدم هذا الديوان أن أغالب شعوراً من الألم يغمر نفسي، لأنني أتلفت حولي فأرى بلادنا المصرية مقفرة من الشعر العربي على لسان نسائها، في حين أن في البلاد العربية الشقيقة.. شواعر ربات ذوق

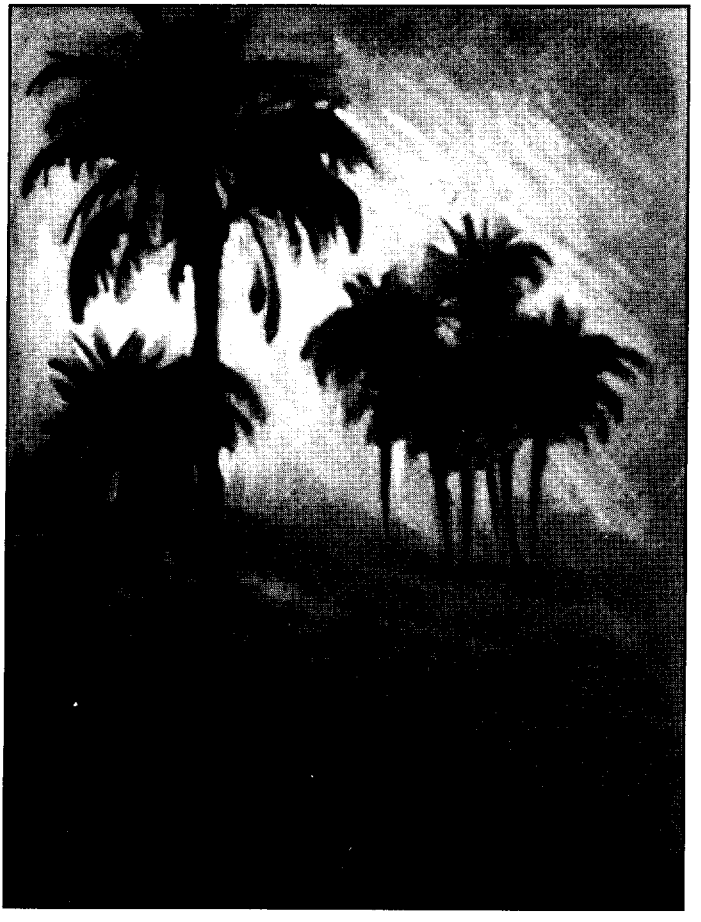

لوحة.. بريشة الفنانة شريفة فتحي

أدبي.. عربي أصيل.. رفيع، يجعل الصلة بينهن وبين أمتهن في ماضيها الماجد، صلة تشمخ بها رؤوس وتشرق بها آمال.

إن أمتنا لم تضق بالشعر ولم تعرض عنه لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وقد كان رسول الله يستنشد «الخنساء» فتنشده ـ وكان رسول الله يعجبه شعرها.. فيستنشدها.. وهو يقول: «هيه يا خناس» ويومىء بيده.

تأمل:

في كل حسن أراك ربي.. بعين روحي وعين قلبي..

* * *

ـ وتقول شريفة فتحي في تبتُّلاتها في قصيدتها «الرضا والحب»:

الحب شعري في الحياة ومذهبي وجمال وجهك يا إلهي مأربي
آمنت لا خوفاً ولا طمعاً ولكن الرضا والحب غاية مطلبي

* * *

وتقول شريفة فتحي عن إنتاجها الأدبي في كتابها «ألحان بلا أوزان»:

«خواطر، أساطير، تأملات، كلها أفرع ثابتة من شجرة الأدب.. وإن بدت متنوعة الألوان متغايرة الأشكال، إلا أنها في الواقع متناسقة متآلفة فهي بعض من الحلقات المنتظمة في العقد الواصل ما بين الشعر والقصة.

وقد يشخص على هذه التجربة أنني وجدت فيها لوناً من التطوير المحبب والتجديد المشوق، بما لا يمس ولا يعبث بالجوهر، بل هو مجرد تغيير في الإطار.. يبعدنا عن الرتابة والملل، ودعني أهمس إليك بكلمة صغيرة:

«إنني أفضل باقة الزهر المتنوعة العطور والألوان..

فإن كتابها «ألحان بلا أوزان» يشمل هذه الباقة من الخاطرة، والشعر، والقصة، وفي ممارسة شريفة فتحي للقصة القصيرة.. ومعالجتها لها، تتذوق

فيها طعم الشعر.. وهمس النغم، وروعة اللحن والإيقاع، فإن لمساتها الشعرية تغلف القصة بغلاف ساحر شفاف.

ففي قصتها «قد نولد أكثر من مرة» تقول:

كان إنساناً حساساً مرهفاً فياض المشاعر، وكان وحيداً.. محروماً يتألم في صمت، تلح عليه آلامه فتهب مشاعره كالنار تلهب وجدانه وتحرق كيانه، ولم يكن يبكي كي يطفىء لوعته ـ لا.. فمشاعره كانت عنده أغلى من أن تنحدر على خديه قطرات من الماء تجف بعد لحظة.

كان يضن بأحاسيسه وهي قطعة من نفسه.. فلا دمعة تواسيه، ولا إنسان يناجيه، وتلفَّت حوله فرأى أنه وحيد، وحيد إلا من شمعة وقرطاس.. وقلم، وامتدت يده دون وعي منه وأمسك بالقرطاس والقلم وانفجر يكتب دموعه ـ وينهنه آلامه، وأخذ صوته يرتفع.. شيئاً فشيئاً، حتى صار ترديداً جميلاً لإحساساته، وشدواً هادئاً يضيء المكان من حوله تماماً.

الفنانة الشاعرة شريفة فتحي والكاتبة الأديبة لوسي يعقوب
وكؤوس الريادة في الشعر.. والرواية

وأخذ الفنان يفكر، يفكر في حرمانه، في أحزانه، في آلامه، لم يهرب منها.. وتساءل: ما هو الألم؟.. وعندما وصل تفكيره إلى تلك المرحلة ابتسم وشعر بأنه يولد من جديد، فلقد آمن.. وهذه هي معجزة الإيمان، ولم يدر أنه حتماً أشرقت تلك الابتسامة المطمئنة الراضية المتسامحة على ثغره، كان ذلك إيذاناً بمولد.. «الفيلسوف».

وفي نفس الكتاب تقول في قصيدتها «الصديق»:

ضالة في عرض الطريق..
لا مأوى لها..
ولا صديق..
تلفَّت يميناً..
ويساراً..
في حيرة في ضيق..
تمنت أن تلوذ بإنسان..
أي إنسان..
لتشعر بالأمان..
بالحب..
بالدفء.. بالحنان..
ورأت شبحاً ما..
فأشرق بقلبها.. أمل سعيد..
لعله إنسان.. له قلب..
قد يعرف الحب..
لعله أم.. لعله أب..
واقترح الشبح..
خرج من الظلام..

إنه رجل..

عيونه ظامئة..

يمد لها.. يداً..

ملوثة.. خاطئة..

وتساءلت..؟

أهذا صديق..؟

فأجفلت وتراجعت..

وأشفقت أن تمد له يداً..

إن يدها طاهرة..

ولن تلوث أبداً..

وأدارت له ظهرها..

ومضت..

ناداها فأعرضت..

وأسرعت وابتعدت..

نعم إنها جائعة..

ولكنها لن تأكل من يده..

نعم إنها ضائعة..

ولكنها لن تشاركه مرقده..

فما هذا بصديق..

إنه مجرد عابر طريق..

ثم سمعت صوتاً ما..

ورأت شبحاً ما..

يتحرك من بعيد..

فعاودها الأمل.. من جديد..
لعله إنسان.. له قلب..
لعله يعرف.. الحب..
وتبيَّنته في الظلام..
قصيراً.. صغيراً..
جاء يتمسح بها..
في عينيه نظرة دامعة..
لا شرهة..
ولا طامعة..
اطمأنت له..
واطمأن لها..
ومشت تكمل بصحبته الطريق..
لم تعد تشعر بالوحدة..
أو الضيق..
فقد وجدت لوحدتها..
رفيق..
إنه ليس بإنسان..
إنه حيوان..
كلب ولكنه..
صديق..!

* * *